

Des: yara tarek

نوفيلاً

آخراك

”حريّة“

علياء شعبان

بيت الروايات والحكاوي المصرية

آزاد

آزاد "حرية"

نوفيل

بقلم

علياء شعبان

~ 2 ~

علياء شعبان

بيت الروايات و الحكاوي المصرية

اصدار

بيت الروايات و الحكاوي

المصرية

<https://www.facebook.com/groups/Rewayat.>

[/Msrya](#)

فريق العمل

فاطمة - اسماء - الاء - يارا -

□ مروة

~ 3 ~

علياء شعبان

#آزاد

(حرية)

" إذا أتتك مذمتي من ناقصٍ .. ففي الشهادة لي بأني
كاملٌ "

(ياقوتية المُتنبّي)

"الفصل الأول"

تبعثر

ذات ليل غيـهب من هذا الوقت حينما ارتبـز القمر في
جوف السماء مُعلنًا مجيء موعـد جلوسها داخل
غرفتها وحيدة، كانت الأجواء ساكنة ولا يصل إلى
مسامعها سوى صوت الرياح بعد اصطدامها بأغصان
الأشجار المجاورة لبيتها.

كحل السُّهادُ عينيها، حركت أهدابها بتثاقلٍ وجفون
مرتخية لتسير بخطى وئيدة صوب المرآة أمامها،
دقت النظر في صورتها المعكوسة هناك لترى
وجهًا ارتسم عليه الحُزن وبدا فاقداً للحماسة لتقوم

بوضع أصابعها على وجهها تتحسس بشرتها الداكنة
الحنظلية بمرارة فجّه لتتساب الدموع من مقلتي
عينيها أنهارًا وهي تبتلع غصّة في حلقها .. يأتيها
صوت زوجة والدها مُجددًا وهي تهتف بجملتها
المعروفة حينما قالت سابقًا بوجه عابسٍ ونبرة
ساخرة فظة:

هو إنتِ فاكِره إن ممكن جنس مخلوق يبص لك؟،
بصي لنفسك في المرايا، بشرتك كُلها بُقع وسودا ..
الانسان مننا يوم ما يفكر في شريك حياته، بيدور
على اللي تنورها مش تفرعه بالليل .. أقعدي إنتِ
سبسي في شعرك وفي الآخر موقفك مش هيختلف
وهتفضلي عانس واوعي تكوني فاكِرة إن اللي
بتكلميه ده هيتجوزك؟ تبقي غلطانة .. لأنه عارف
وحاسس إنك رامية بلاك عليه.

انتقلت بأطراف أصابعها تتحسس خُصلاتها الناعمة
الطويلة، دائماً ما يصفها الجميع بقُبْح الملامح رغم
طول شعرها وشدة نعومتها؛ إلا أنها في نظرهم مُجرد
دميمة، تعلقو شهقاتها رويداً رويداً وهي تتذكر خليط
من الجمل القاتلة يرن في أذنيها ، بأنها لن تكون
فتاة أحلام لأحد من بني البشر؛ لا هو! ولا حتى من
هم يتواجدون أسفل الأرض .. فهي المنبوذة من بني
البشر والعالم الآخر ...

ارتخت مفاصل ذراعها على غفلة إلى جانبها وتلى
ذلك بأن افتت ثغرها عن ابتسامة مُريبة وأخذت تُحدق
في المرأة بنظرات جُتة مُهمدة متسعة الحدقتين
وسرعان ما كبا لون وجهها للصفرة الفاقعة ومالت
رأسها للأمام قليلاً .. ولكنها لا تزال تنتظر في المرأة
لتلاحظ شيء أقبح من قُبْحها يأتي من الخلف وقد
أدخل على قلبها الرُعب.

آزاد

اهتزت جدران العُرفة بقوة جعلتها تميل على جنبها
الأيسر كالثملة وهي ترى أمامها جسداً ضخماً شديد
الزُرقة إلي سواد يحملق فيها بعينين حادتين، بدأت
تتفرس كل تفصييلة به وكأنها مُغيبة بشكل كامل،
فعيناه لا يتواجد بها هذة الفحمة بالمنتصف فقط
يشملها اللون الأبيض دون وجود أهداب تُغطيها
وفكاه يظهران بوضوح خارج محور فمه الذي يسيل
منه قطرات الدماء .. نقطة تلو الأخرى .. لم يُحرك
ساكناً بل ظل يتفرس ملامحها للحظات طويلة .. أما
جسده فشبيه لجسد الإنسان كثيراً يغطيه الشعر بكثرة
كما أن جذعه السفلي مُغطى بأعواد متشابكة من
اللون الأخضر يشبه خُصلات شعر او ربما شيء آخر
لا تعلمه.

في تلك اللحظة شهقت خيفة وأصاب جسدها رعشة قوية اربكتها لما رآته يسعى إليها، استدارت بوجهها إليه آمله أن يكون بعضًا من أوهامها التي بثتها زوجة والدها داخل نفسها والتي تؤمن كثيرًا بالأعمال والعالم السفلي فترجع بقائها دون زواج إلى هذه الأشياء المنحرفة عن الدين رغم أنها تعلق في كل مرة بشدق ملتوي بأن ابنة زوجها ليس بها ما يبث الضغينة في نفس آخر كي تُثير غيرته فيتجه إلى الأعمال كي يرى تعاستها .. عقلها يعمل دون توقف .. ولكنه ما زال هنا؟ ارتكض قلبها فزعًا وهي تجده يقترب منها وفي لمح البصر وجدته يقف على مقربة منها فكادت حين رآته إلى جانبها تُجن من الهلع .. ومن هنا بدأت صيحاتها تتردد بين جنبات البيت ولكنها لا تجد أحدًا يطرق باب غرفتها البتة .. ألم يسمعونها؟!، إزداد صوت صراخها أكثر فأكثر ومعه تزداد رجفة جسدها الذي يتصبب العرق منه.

آزاد

__ " ما حدش هيسمعك غيري؟، أنا جاي أحقق لك
حلمك " .

وضعت يديها على أذنيها حتى لا تسمع صوته الذي
يشبه انفجار قنبلة أوشك على أن يدمر جهازها
العصبي كُلياً وقد أغمضت عينيها من بشاعة خلقتها
وهنا سمعت هذا الصوت على مقربة شديدة منها ..
أصوات زئير وعويل وغيرهم يترددون في الحجرة
وكأنها سُحبت إلى أسفل الأرض عنوة وكُل ذاك
ممزوج بأنين بُكائها لتصرخ بفرعِ قائلة:

__ " إنت مين وعاوز مني أيه؟ " .

كان ارتياعها شديداً ولكن هذا لا يُساوي اضطراب
نبضات قلبها وهي تسمع صوت لهيب وتوقد نبراته
حينما لمس بأطراف أصابعه خُصلاتها الملساء
الناعمة ومن ثم راح يقترب منها ويستنشق عبيرها
.. ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تنظر لما يفعله ببيكاءٍ
مريراً فقد شها أن يلمس جسد أنسية مُجدداً، فقد كان
له تجربة في السابق ومن الواضح أن ضعفه يكمن
في خُصلات إنسية، انتفضت من مكانها ثم تقهقرت
للوراء محاولة الابتعاد عن لمستته وصدرها يعلو
ويهبط بقوة لتجدهُ يقول بصوته المريب:

__ " أنا حلمك، مش بيتقال لك إن عُمرك ما
هتتجوزي إنسي لأنهم دايمًا بيدوروا على الجمال،
بس انا عاشقك من العالم الثاني .. انا هربطك بالعالم
بتاعي للأبد .. هخليك تعيشي ملكة الجنيات ..

الملكات هنا مش مقياسهم الجمال .. المرتبة دي
بتأخذها أكثر واحدة قدرت تخلي جني يعشقها "

أخذت تصرُخ هلعًا وراحت تزيح جسده ظنًا منها بأنه
سيبتعد بسهولة، وما أن أمدت ذراعيها ناحيته حتى
تزيحه إكتشفت أن جسده سرابًا لا يلمس بينما لا
يزال يرمقها بثبات وعينين بيضاوتين، تقطرت
قطرات الدماء من فمه ليقول بصوته الأَجش وهو
يُمرر أصابعه على وجهها:

"_ إنتِ هتمنحيني عُمر أطول، وانا هتجوزك وأُخلكِ
ملكة في عالم الجن "

أخذ صوته يزداد إرتفاعًا فيما تلاحقت أنفاسها بقوة
.. قرب وجهه البشع منها لتسقط بعضًا من قطرات

الدماء على وجهها ومن ثم استأنف بنبرة هادئة
جعلت الهواء ينسحب من حولها:

" شعرك هو قوة أي جني .. وبكدا هو أصبح
ملكي .. وانتِ أصبحتي أسيرة عشقي .. هتكوني
حاضره مع البشر بجسمك بس "

بدأ يستخدم أنامله الحادة في اقتصاص خُصلات
شعرها، أخذت تصرخ بقوة حتى يسمعها من الخارج
ومن ثم باتت قواها تتلاشى في الحال وهي تراه ينزع
عنها خصلاتها ويبدأ بدمجها في سائل صبغي أخضر
اللون ثم يحاوط جسده به في انتصار يصدر معه
زئيراً.

شعرت بأنها قد أُصيبت بمسّ من الجنون وهي تتلفت
حولها بغير هدى بينما إرتعاشة صرخاتها جعلتها
تسقط أرضاً فاقدة للوعي.

لمسة من يد هذه المرأة على وجنتها جعلتها تنتفض
في الفراش فزعاً وقد عدلت من وضعية نومتها
جالسةً، تندى جبينها عرقاً فيما تابعت زوجة والدها
قائله:

__ " فيك أيه؟ .. بتصرخي وانتِ نايمه؟! "

ابتلعت "غيداء" ريقها بصعوبة وراحت تتلفت حولها
تبحث عنه ولكن لا تجده، أكان مجرد حلمًا؟! .. نعم

إنها أضغاث أحلام ليس إلا، نحت ببصرها إلى السيدة
التي تقف أمامها بملامح مكفهرة وبنبرة مُتلعثمة
تابعت:

ـ "حلمت .. حلمت إن في جني خطفني وكان عاوز
يقص لي شعري ويتجوزني وأبقي من ضمن عالمهم
.."

حركت السيدة فمها يمينا ويسارا في استخفاف،
وبنبرة ساخرة تابعت :

ـ "ومالقاش غير شعرك الحاجة الحلوة اللي فيك ..
وبعدين جني أيه دا اللي هيحبك ويتجوزك؟ كان
عملها الإنسي اللي بيتسلى بيك ومفهمك إنه
هيتجوزك .. إنت مش لاقية حُب في الواقع بتعوضيه
في الأحلام!"

آزاد

زفرت السيدة زفرة مُتأففة، ثم ترجلت خارج الغرفة
تلعن وجود هذه الفتاة بجانبها خاصة بعدما أتممت
الثلاثين دون زواج.

نكست الفتاة ذقتها بإرهاقٍ وحُزنٍ .. " أجل كان مُجرد
حلمًا من ضمن أحلامي، فعندما وجدتُ العالم
يرفضني، لجأتُ لتعويض النقص في أحد العوالم
الأخرى .. ذاك الجني أخبرني بأنهم لا يعترفون
بالجمال في مملكتهم، يأتي العشق أولاً ثم تعلقو
القبیحة بصدق حُبها فتتال شرف كونها ملكة رغم
قُبحها الذي لا دخل لها به .. ليتني أنتمي لهذا العالم
.. ولكنني سَأبقى في عالمي دميمة .. لُغت من قِبل
الناس ومنزلتها تبقى (ذات الوجه الدميم) ".

فعلى مرّ العصور والتاريخ، كان التأريخُ في حق
المرأة وأنووتها ينتسب إلى حُسنها. حتى قصائد
الغزل الشهيرة دائماً ما تُقدس جمال المرأة وتتفنن
في محاسنها دون الإشارة إلى عقلها الذي هو أساس
تطورها وشخصها القوي.

التفتت "غيداء" بوجهها ناحية المرأة المُقابلة
لفراشها ثم برزت ابتسامة هادئة على ثغرها وراحت
تتنهد بعمقٍ قبل أن تردد بحُزنٍ دفين:

"_ بس أنا مش وحشة للدرجة اللي مرات بابا
مصوراني بيها، بشرتي سمرا؟ عيوني ضيقة حبتين؟
مش مهم .. أنا مبسوفة من شكلي وكفاية إنّي
جميلة في عيونه!"

صمتت لوهلة ثم استرسلت تخاطب نفسها بنبرة
مُتحيّرة:

" تفتكري كفاية؟؟ .. "

هزّت رأسها برفض لما تفعله، تدلت عن الفراش
بحركة اندفاعية وهي تقول بنبرة مازحة:

" أنا بكلم نفسي كمان؟! .. دا أيه الجنان دا "

خرجت من الغرفة بسرعة لتجد والدها يجلس أمام التلفاز يُتابع النشرة الإخبارية كعادته في هذا الصباح الباكر من الوقت، احتلت ابتسامة رقيقة ثغرها لتقول
بنبرة حنون:

_" صباح الخير يا حج محمد ".

طالعتها والدها بنظرات هادئة ثم ابتسم يقول:

_" صباح النور على البنور يا أستاذتنا .. يلا
ساعدي الولية اللي جواد دي خلينا نفطر .. علشان أنا
ورايا شغل وإنتِ وراكِ مدرسة ".

أومات برأسها في تفهم، توجهت صوب المطبخ كي
تعاون زوجة أبيها على إعداد الفطور وقبل أن تخطو
قدمها عتبة المطبخ سمعت جرس الباب يرنّ فغيرت
وجهتها صوبه وهي تقول بنبرة هادئة بعدما رتبت
حجابها على رأسها:

" أيوة، لحظة ".

قامت بفتح باب الشقة بتوجس لتجد "تيم" يقف
أمامها وفي يده لوحًا خشبيًا رُص عليه أرغفة الخبز
الطازجة ثم يقول بنبرة ثابتة وهو يتفرس معالم
وجهها العادية بنظرات مُختلفة عن غيره:

آزاد

__ " العيش لسه نازل من الفرن علشانكم .. أتفضلي
يا ست البنات "

أمدت ذراعيها ناحيته كي تتناول اللوح منه بينما
تابع هو بنبرة مُصرة:

__ " وسعي، أنا هدخله لحد جوا بنفسي، مش الشيخ
محمد موجود بردو؟! "

إفتر ثغرها عن ابتسامة عريضة وهي تومئ برأسها
إيجابًا ثم تحت جانبًا وهي تتبج بصوتها عاليًا كي
يصل إلى والدها:

آزاد

" بابا؟ دا تيم وجايب لنا العيش ".

الحاج محمد بنبرة عالية ومُرحة: تعالى يا تيم .. أدخل
يابنى.

أطرق "تيم" برأسه قليلاً يفض الطرف عن مكنونات
البيت ثم دلف على الفور حيث يجلس الحاج محمد وهو
أمام المسجد بذلك الحي البسيط، تتحنح تيم قليلاً وهو
يضع اللوح على الطاولة بينما تابع "محمد" وهو
يتوجه ببصره إلى ابنته:

" يلا يا أستاذتنا على المطبخ ".

انصاعت "غيداء" لأوامر والدها فتعجلت في سيرها إلى الداخل فيما بقي "تيم" واقفاً في مكانه لا ينبس ببنت شفة فبادره محمد قائلاً بتساؤل:

_"حاسس إنك عايز تقول حاجة يا تيم؟!!"

كان الشيخ "محمد" جالساً القرفصاء على الأرض وممسكاً بالمسبحة بين أصابعه، أسرع تيم بالجلوس أمامه وبنبرة ثابتة قال:

_"هو أنا فيا حاجة تتعايب يا شيخنا؟!!"

قطب "محمد" ما بين عينيها باستغراب ثم أفصح نافيًا
بصدق:

_ "بصراحة لأ.."

تيم بنبرة متضايقه:

_ "أمال ليه بترفضني كل ما بتقدم لأنسة غيداء؟
علشان معايا شهادة الصنايع؟ وهي مدرسة؟ لو دا
السبب فمتخافش أنا ههنيها وهشيلها جوا عنيا."

رفع "محمد" ذراعه إلى كتف "تيم" يربت عليه بحنان
أبوي ثم قال بنبرة صريحة للغاية:

"_ القلب وما يريد يا بني، وأنا ما أقدرش أجبرها
على حاجة مش عايزاها".

نكس "تيم" ذقنه بحزن عميق ثم تابع قائلاً بابتسامة
باهتة:

"_ يعني قصدك حد تاني في حياتها؟!".

آزاد

محمد بتهيدة هادئة:

"_ قصدي يا بني لو ليكم نصيب في بعض، هتكونوا
".

تتهد "تيم" تهيداً ممدوداً بعُمقٍ وراح يهزُّ رأسه
بثبات رغم الحُزن الذي ملأ أروقة قلبه الهشة الذائبة
في حُبها، استسلم لحديث والدها ثم انتصب واقفاً
وهو يردد بنبرة هادئة:

"_ طيب أستاذن أنا بقى يا شيخنا".

طالعه "محمد" بابتسامة رحيمة ليقول بنبرة ودودة:

__ "بالسلامة يا بني".

كانت تمسك بين يديها صنحاً في طريقها لوضعه على
الطبلية التي تقبع بمُنتصف الغرفة؛ فاستمعت إلى
حديثهما صُدفة .. راقبتهُ إلى أن تجاوز عتبة الشقة
إلى خارجها وأغلق الباب خلفه وعلى الفور قامت
بوضع الصحن على الطبلية وبنبرة متلعثمة قالت
وهي تنظر صوب الباب:

__ "بعد أذنك يا بابا .. هقول لـ "تيم" على شوية
ورق يجيبهم لي من المكتبة!".

_" ماشي يا بنتي " .

وافق الشيخ "محمد" على مَضض، يعلم أن السبب الرئيس وراء رغبته في مُحادثته لم يكن ما أفصحت عنه لتوها بل لأنها لا تقدر على أذية أية شخص يقع في طريقها، يعلم الشيخ كذلك بأن قلبها ملكًا لآخر ولكنه لم يُعنفها يومًا (قولًا أو فعلًا) بل اقتدى بالدين خُلُقًا ونصحها بأن تبعد عن أحبب حتى يأتي البيوت من أبوابها؛ ففعلت.

ظلت "غيداء" تنتظر ذاك الشخص أربعة أعوام ومازالت، فحالاته المادية لا تسمح له بالزواج لتقرر

أن تقف إلى جواره للنهاية .. أسرعت على الفور إلى
خارج المنزل وبنبرة هادئة هتفت تناديه:

ـ " تيم؟! "

يتبع

#آزاد

(حرية)

" الفصل الثاني "

_ أَلَمْ سَرْمَدِيَّ _

ثمة أقاويل بأن القلبَ في الحُب ليس الهدف، وأن
الشوقَ الذي يغزونا ويملؤنا ما هو إلا أوهام مُذعنة
.. ثمة أقاويل نالت مني حين قالها أبي العجوز

المكلوم لأجل ابنته: يا عزيزتي لو كان الحُب ينطق
لتبرأ من خبائث ما يفعلون.

" خير يا ست البنات؟ محتاجة حاجة؟! ".

نطق "تيم" كلماته باهتمام كبير، أومات غيداء
برأسها إيجاباً ثم سارت صوب الدرج تجلس على
أول درجاته وبنبرة خافتة قالت:

" ممكن تيجي تقعد هنا شوية؟! ".

قطب تيم ما بين عينيه لبعض الوقت يألف طلبها
الغريب له، كانت تفهم جيداً ما يدور في خُده ولكنها
حنته على الجلوس بإشارة من كفها ليفعل .. رمقها
بنظرة ثاقبة في حين أنها تابعت بنبرة خافتة ترجوه
من خلالها:

" تيم؟! .. إنت عارف كويس إنك شاب جدع وابن
حلال كمان وألف بنت تتمناك .. بلاش توقف حياتك
كُلها على شخص حتى لو كان الشخص دا أنا!!! "

تحنح "تيم" بخشونة قليلاً قبل أن يتفرس ملامحها
الساكنة بدقة وبنبرة متسائلة قال:

آزاد

" إنتِ في حد تاني في حياتك؟! "

تحاشت النظر إليه بتوتر بالغ، لا يُقلقها سوى ذلك
الألم الذي قد تضرره في نفسٍ جميلة فتُعذبها، فهي
لا تود أن تذيق الآخرين من جعبة آلامها التي ملأتها
زوجة أبيها بها، التفتت إليه ثانية وبنبرة مُتحرجة
قالت:

_" من أربع سنين .. بس هانت .. يمكن يحصل
خطوبة في خلال الأيام الجاية .. عرفت بقى دلوقتي
إن السبب مش عيب فيك إنتَ " _

أنصت إلى حديثها بنظرات مخذولة فيما رمقته
بعينين لامعتين قد امتلأتا بالدموع ولكنها سرعان ما
تراجعت عما أوشكت على فعله لتشق ابتسامة هادئة
ثغرها وراحت تقول بمزاح:

"_ بكرة لما تلاقي بنت الحلال هتقول أنا أيه اللي
كان موقعني في غيداء، دي حتى شكلها مش حلوة
وسودا".

نفر من كلمتها الأخيرة وقد تقلصت قسماات وجهه
بضيق وهو يقول:

آزاد

_" الكلام دا مش كلامك؟ إنت طول عمرك بتضحكي
وبتحبي نفسك وشكلك، إحنا إترينا سوى وماحدش
هيعرفك قدي ".

إفتر ثغرها عن ابتسامة مكسورة من جانب شفيتها
وبنبرة حزينة ردد:

_" مرات بابا هي اللي بتقولي كدا .. كُل واحد
ووجهة نظره ".

تيم بعصية خفيفة:

آزاد

"مرات أبوك دي عايزة الضرب على نفوخها
ونخلص منها بدل ما تخلف لنا نفيسة ودرية وقصة
سندريلا تتعاد من تاني".

أطلقت "غيداء" ضحكة رقيقة تضامناً مع كلماته
اللطيفة والسلسة كأسلوبه في فهم ما يكمن داخلها
دون أن تقول، فقد تربيا سوياً في هذا الحي الشعبي
الكبير .. باغتها تيم مُردفاً بنبرة ثابتة:

"حتى ضحكتك مابقيتش زيّ الأول، من يوم ما
الست دي دخلت بيتكم وإنّ ملامحك كبرت ودايمًا
مش مبسوطة".

أطرفت غيداء برأسها قليلاً ثم نظرت إليه مُجدداً
وبنبرة واهية وقد ترقرت الدموع في عينيها قالت:

__ " أنا ملامحي كبرت من يوم وفاة ماما " .

تيم بتهيدة هادئة: " ربنا يرحمها ويجعل مثواها
الجنة " .

غيداء بهدوء وحكمة:

__ " أمين .. وبعدين ما تخافش عليا .. طول ما بابا
بيننا ما تقدرش تقرب ليّ .. دا كان ياكلها .. الحمد لله
إنه مش من الرجالة اللي بتفرط في بناتهم علشان

واحدة ست .. يلا هستاؤنك بقى يادوب ألبس وألحق
الحصاة الأولى".

هبّ الاثنان من أماكنهما، نفض تيمّ التراب عن
ملابسه وهو يُلَوِّح لها بينما بادرتة هي بابتساماة
أخيرة قبل أن تدخل إلى شقتها .. أغلقت الباب خلفها
.. بينما بقى هو مأسور بهذه اللحظة التي جمعتها
.. لم يكن بمقدوره سوى أن يتمنى لها حظًا جيدًا من
هذه الدنيا لا يشبه حظه في الحُب.

اتجهت "غيداء" إلى غرفتها ثم انتقت ثوبًا تُحبه
كثيرًا، فهو الأسرع في ارتدائه من بين جميع

آزاد

ملابسها، لم تكن من مُحبات مساحيق التجميل ولا تروقها حتى في المناسبات والتي ينبغي عليها أن تتزين بطريقة مُفرطة للإيقاع بعريس في أقرب فرصة ولكن لا تأثر هذه الطريقة المُهينة ولم تتبع خطوات زوجة أبيها يومًا والتي تتعمد إهانتها بأفعال متوارية على عكس أفاظها الصريحة؛ لأنها تعلم جيدًا أن غيذاء لن تجرؤ على إخبار والدها كي لا تنشب نيران غضبه داخل المنزل.

للك الروايات والحكاوي المصيرية

_" ما تحطي روج ولا كريم على وشك دا؟ هم أصلًا مخترعين الحاجات دي للي زيكم، لتكوني فاكرة نفسك جميلة ومش محتاجاهم؟!!" _

أردفت "سامية" بتلك الكلمات بعد أن دلفت إلى
الغرفة دون أن تطرُق الباب في حين أن الأخيرة قد
انتهت من ترتيب حجابها على رأسها ثم توجهت
صوب الباب وهي تقول بنبرة هادئة:

"_ بس أنا مُدرسة ورايح مدرسة، يعني لازم أليق
بمقام المكان اللي هتواجد فيه وأكون قُدوة للطالبات
ولا أقولهم الزينة حرام وأنا مفنشه وشي ما شاء
الله!!".

تأففت "سامية" من هذه الأسطوانة المشروخة كما
تقول، شوّحت لها بذراعها قبل أن تترجل خارج
الغرفة وهي تقول بنبرة حانقة:

آزاد

__ " وأنا هوجع قلبي معاكِ ليه؟, إن شالله ما
اتجوزتي خالص!".

تجاوزتها "غيداء" وابتلعت كلماتها برحابة صدر،
فهذا الموقف يتكرر كُل يومٍ وأصبح من الطبيعي
عليها أن تتكيف معه، اتجهت إلى والدها فوضعت
قُبلة سريعة على وِجنته المُجعدة قبل أن تستقيم ثانية
وهي تقول على عجلة من أمرها:

__ " يلا يا بابا عايز مني حاجة؟! ".

الشيخ محمد بنبرة حنون يدعو لها تلك الدعوة المُحِبَّة
على قلبها:

"_ سلامتك يا بنتي، ربنا يستر طريقك ويعطيك
ليرضيك ويوقف لك دائماً ولاد الحلال".

لم تلحق طابور الصباح لذلك أسرع صوب غرفة
المديرة وفي نفسها شيء من الوجل فحتمًا ستتلقى
بعض الكلمات الغاضبة منها وقد ينتهي الأمر إلى
خصم من مُرتبها الضعيف الذي ما أن تستلمه حتى
تضعه في أيادي أصحاب المحلات التجارية التي
تنتقي جهازها منهم .. طرقت باب الحجر بتوجسٍ
لتستقبلها المديرة بوجه مُشرق وابتسامة ناضرة
ليمرّ الموقف على خير دون خسائر!!

توجهت إلى حجرة الدراسة بالطابق الثاني وقبل أن تدلف داخلها سمعت صوته يأتي من الفصل المجاور لها، أمالت رأسها قليلاً حتى تمكنت من رؤيته يقف أمام الطلبة ويشرع في شرح الدرس بصورة مرنة، تجذبها طريقته الذكية في الشرح رغم اختلاف نظرة المديرية في هذه المنطقة والتي تُثني عليها في مرونة حركتها وضحكتها المبهجة كعاملين هامين في توصيل المعلومات إلى ذهن الطالب وترى أنها من أجدر المعلمات التي شهدتها المدرسة في الآونة الأخيرة.

__ " رازم؟! .. "

آزاد

نادته بنبرة خافتة بالكاد تُسمع مُستخدمة كفيها كي
تُلفت انتباهه لتتجح في ذلك، بادلها غمزة سريعة من
عينه قبل أن يستأنف ما يقوم به بينما أسرعته هي
بالدخول إلى الفصل ليبدأ يومٌ دراسي جديد.

انتهت الدقائق المُحددة للحصة، فتوجهت خارج
الفصل لتجده يقف في نهاية الممر ويبدو وكأنه
مأخوذاً بتلك الملامح الغاضبة أثناء حديثه إلى
الهاتف المحمول الخاص به، ذأبت في سيرها إليه
وما أن وقفت قبالة حتى تابع بنبرة ثابتة:

__ " طيب .. طيب .. هكلمك بعدين " .

زوت "غيداء" ما بين عينيها وهي تحرق فيه بقلق
حقيقي ثم تقول:

"_ رامز إنت كويس؟ فيك حاجة؟؟ ليه وشك
مخطوف كدا؟ وكنت بتكلم مين في الفون!!".

إفتر ثغرة عن ابتسامة خفيفة وهو يشير لها بكفه أن
تصمت عن ثرثرتها قليلاً ليقول بنبرة حازمة:

آزاد

لغة الروايات و الحكاوي المصرية

_" ما براحة عليا يا أستاذة غيداء؟ قولتيم إزاي
دول كلهم مع بعض؟ يا ستي مافيش حاجة كُل
الحكاية إن واحد صاحبي كان بيحكي ليّ مُشكلة
حصلت معاه."_

زفرت غيداء بأريحية وابتسامة عريضة زينت
ثغرها، تتحنحت قليلاً قبل أن تقول بنبرة هادئة:

" أخبارك ايه؟ أدليك كام يوم مش بتسأل عني؟ "

رفع " رامز " أحد حاجبيه قبل أن يُردد بنبرة صارمة
ووجه متجهم:

آزاد

__ " بنفذ رغبتك ورغبة الوالد، مش قايل لك ممنوع
كلام معاه إلا مرة واحدة في الأسبوع!! ".

ضيقت " غيداء " عينيها بخُبت طفولي ثم تخلصت
أمامه وهي تقول بنبرة تفتعل فيها الغضب:

__ " يا بكاش، قعدت تتحايل عليا وعلشان خاطر
بقوا يومين في الأسبوع مش يوم .. ولا إنت زي
القطط بتاكل وتتكرا!! ".

رمقها رامز بنظرة باردة دون أن يتفوه بكلمة، إلتوى
شدها بحزن طفولي وراحت تتفرس معالم وجهه ثم
قالت بنبرة مُهتمة:

"_ رامز؟ إنت هتيجي تتقدم ليّ أمتي!! إحنا عدى
علينا أربع سنين وبابا متضايق جداً من العلاقة دي!!
وبعدين إنت وعدتني إن الخطوة دي هتحصل
قريب؟؟؟ والحال أهو ياسيدي إتصلح والحمد لله".

أوما برأسه يُجاريها في الحديث كي يتخلص من
ثرثرتها وبإيجاز تابع:

"_ قريب".

آزاد

غيداء بنبرة حماسية وإصراره: " وقريب دا ليه ما
يبقاش النهارده؟! ".

رامز بذهول: "نعم؟! ".

غيداء بنبرة ثابتة وهي تنظر داخل مُقلتي عينيه
مُباشرة:

" زيّ ما سمعت .. ولو مش عايزني .. قولي
الحقيقة وأنا مش هزعل ".

تهد رامز تتهيداً ممدوداً بعمقٍ، تحول ببصره عنها
ليستقر في الفراغ أمامه وبنبرة ثابتة بعد أن ساد
الصمت بينهما طويلاً:

_" ماشي، هاجي أتقدم النهارده ".

تهالت أسارير وجهها وهي تنظر إليه بعينين
براقتين، لم تشي ملامحه بأي نوعاً من الفرحة وقد
علت ذلك بأن هناك إشكالية تواجه صديقه .. أخذ
قلبها يدق بسعادة ولهفة وبنبرة فرحة قالت:

_" إنت بتتكلم جد؟ أبلغ بابا يعني؟! ".

آزاد

افتتر جانب فمه عن ابتسامه سمجة، رفع ذراعه حيث
وجنتها وهم بالضغط عليها بين أصابعه وهو يوميء
برأسه إيجاباً بينما أسرعته هي بردعه ضاربة على
كفه أن يتراجع والسعادة ما زالت سيدة الموقف
ولكن من طرفها فقط .. طرفاً وحيداً لا يناصره الآخر
.. فحتمًا ستفقد العلاقة توازنها قبل أن تبدأ!!.

استأذنته بالذهاب إلى البيت بعد أن أكدت عليه
الحضور في الموعد المحدد كي لا ينتظره والدها
كثيراً، اتجهت إلى المديرية ثم أخبرتها بأن هناك أمر
عاجل ينتظرها بالبيت وعليها الحضور فوراً، وبالفعل
حصلت على موافقة المديرية.

آزاد

_" بس الله ما شاء الله " .

كانت هذه الجملة هي الرد المناسب على سؤالها من قبل والدها الذي دلف إلى غرفتها عندما طلبت منه ذلك. ارتدت "غيداء" ثوبًا من اللون الرمادي الفاتح وعليه سترة رقيقة من اللون الوردي مشغولةً بتطريز يدوي قامت هي برسمه على السترة وارتدت حجابًا بلون الثوب، فبدت في أحسن صورها اليوم ولم يكن سمار لونها أو ملامحها العادية عائقًا يحول دون إعجاب كل من يراها ويُبدي إعجابه بطلتها الرقيقة، اقترب والدها منها بخطوات هادئة والدموع تلمع في عينيه ولكنه يحجم عبورها حتى لا يُفسد عليها فرحتها، قام بضمها بين جنباته وبنبرة حانية قال:

" لو أعرف إن وجوده هيغيرك ويفرحك أوي كدا
كُنت روح اترجيته بنفسى ولا كُنت جبت لكم شقة
حتى لو هشحت "

كانت واضعةً رأسها على صدره تستمع إلى كلماته
الحنون باستمتاع شديدٍ فدائمًا ما تكون لكلماته وقعًا
خاصًا على نفسها قبل قلبها .. تنهدت من فرط
فرحتها ثم قالت بنبرة رقيقة:

" مش دايمًا بتقولى نفسى أشوفك عروسة وأفرح
بيك، يمكن أنا فرحانة علشان هحقق لك حلمك أكثر

من فرحتي بان الشخص اللي اختاره قلبي هيبقى من
نصيبي "

الشيخ محمد وهو يطبع قُبلة طويلة على جبينها:

"_ طول عُمرِكَ في الحنية زيِّ والدتك ويمكن أكثر
".

غيداء بابتسامة هادئة:

"_ البنت بتستمد حنيتها من حنية أبوها عليها ..
ربنا يخليك ليّ ويديمك سند "

__ " طيب هتفضلوا كدا كتير يعني؟! " .

قطعت "سامية" الحديث الدائر بينهما وهي تقف على عتبة الباب ترمقهما بغضب خفيف بينما طالعها "محمد" بنظرات غير مُبالية وبنبرة ثابتة ردد:

__ " إنتِ ما تعرفيش تعيشي يوم واحد من غير نكد يا أم قويق؟ " .

التوى شذقها بحنق لبيتعد هو عن ابنته متجهاً خارج
الغرفة، نحت "سامية" بصرها إلى "غيداء" التي
تتظر لها بنظرات ثابتة ربما تنتظر رأيها فيما
ترتيده، لم تُحبها الأخرى يوماً رغم أن غيداء حاولت
مرات كثيرة أن تقترب منها ارتضاءً لوالدها الذي
سعى إلى الاستقرار والهدوء داخل منزله.

_" ها؟ شكلي كويس؟! ".

سامية وهي تتفحص هيئتها بلامح شبه مُقتنعة
لتقول بنبرة سادرة:

_" يعني، أهو أحسن من الأول ".

أومأت "غيداء" برأسها في تفهم وخيبة أمل ناحية هذه السيدة التي تمتلك منظورًا تشاؤميًا عن الحياة وجميع من حولها، فعليها أن تصمت وتتركها وشأنها وإلا أصيبت بعدوى التشاؤم.

__ "بس أيه السلسلة دي؟ أول مرة أشوفها على رقبتك؟ دي أكيد منه؟"

رفعت "غيداء" كفها تتحسس العقد الملفوف حول رقبتها في سعادة وبنبرة خجلة قالت:

__ "أه منه".

سامية بنبرة ساخرة:

__ "ومش عارف يجيبها لك ذهب؟!".

تتهدت "غيداء" تتهيدة طويلة ثم أولتها ظهرها
مُتجهة إلى منضدة الزينة الخاصة بها وبنبرة ثابتة
قالت:

_" أنا اللي طلبتها فضة علشان مش بحب الذهب ثم
إن الهدية مش بسعرها .. الهدية بمقام صاحبها
ومكانته في حياتنا " .

ترجلت "سامية" إلى الخارج بغير رضي، فيما
وضعت غيداء لمساتها الأخيرة بارتداء خاتم فضي
رقيق، وضعت كفها على قلبها وبدأت تُنصت جيداً
إلى دقاته التي ترتفع رويداً رويداً بغير هوادة، سترأه
اليوم بحلته الرسمية الأنيقة وهو يجلس إلى جوار
والدها يأخذهما الحديث وكأنهما صديقان منذ أمدٍ
وبعدها يبتسم والدها وهو يرفع كفيه بعد أن
وضعهما جنباً إلى جنب ليفعل حبيبها نفس الشيء
ويبدأون جميعاً في قراءة الفاتحة؛ ليُفتح بابٌ من
النور على علاقة صامتة منذ أربعة سنوات .. الأيام
تلي الآخري ويتحول الثوب الملون إلى أبيض ناصعٍ

وخاتم الزفاف يطير من بنصرها الأيمن إلى نظيره
الأيسر ثم ينتهي حلم زفافهما بنسخ مُأصلة منه ..
ومن منا لا يروقهـا ذلك الحُلم؟!!

رنين جرس منزلهم قطع عليها شرودها، انفرجت
أسارير وجهها وهي تنظر إلى شاشة هاتفها، والآن
دقت عقارب اللقاء، تنشقت الهواء داخلها كي تبقى
رابطة الجأش ومُتماسكة ولكنها لم تَكُن تعلم أن هذه
اللحظة ستكون شديدة الصعوبة هكذا، حقًا كل شيء
جميل محاط بالمخاطر والأهوال وإن كان المعنى أكثر
تهوينًا فهو مُحاط بالقلق المرضي.

هرعت إلى خارج غرفتها حتى تستقبله كما أخبرته
لأنه لم يلتقي والدها من قبل، أسرع الشيخ محمد بفتح

باب الشقة وسط حالة الإثارة والفرحة منها ولكن ما
لبث شعور الحماس أن زال ما أن رأت الطارق، رفع
تيم أحد حاجبيه وهو يقول بنبرة مُتسائلة:

" إنتوا مستيين حد يا شيخنا؟! ".

اتجه ببصره إليها فلم يستطع منع عينيه من التأمل
فيها، فيما تابع محمد قائلاً بهدوء وهو يتجه إلى
الأريكة من جديد:

" أه، عريس غيداء ".

كبا لون وجهه وهو يستمع إلى كلام الشيخ بصدد
ذلك اللقاء، أوما تيم برأسه في تفهم وبنبرة هادئة
قال:

_" طيب هستاذن انا، ومبروك يا أنسة غيداء "

غيداء بتساؤل تطلب منه أن ينتظر:

_" تيم استنى، إنت كُنت محتاج حاجة؟!!! ".

تيم بنبرة باردة:

آزاد

ـ " أه أصلي لقيت شغل .. دليفري في مطعم ..
وكنت كلفت الواد شهاب .. يجيب لكم العيش الصبح
علشان أنا سيبت الفرنة " .

هزت غيداء رأسها بتفهم، تتحنحت قليلاً قبل أن تنظر
إلى ذراع قميصه الممزق، أشارت له بإصبعها ناحية
الثوب ثم قالت:

ـ " كم القميص إتقطع يا ناصح، هتروح الشغل
الجديد كده إزاي؟! .. ثواني هجيب إبرة وأخيظه لك
وانت واقف كدا " .

تيم بنبرة سريعة: " لا مافيش داعي، هروح البيت
أغيره "

غيداء بإصرار: "يا بني مش مستاهلة، القميص
شكله حلو عليك، دقيقة بس وهيكون خلص "

وفي هذه اللحظة ردد الشيخ محمد بنبرة ثابتة يأمره
فيها أن يجلس إلى جواره دون أن يخجل، اتجهت
غيداء إلى غرفتها لإحضار معدات الحياكة اليدوية ثم
التقطت منهم ما تحتاجه وبدأت في حياكة الجزء
الممزق من ثوبه أثناء ارتدائه له، التقط الشيخ
"محمد" الريموت وأخذ يطلع على آخر الأخبار
بالتلفاز، كان "تيم" يتفرسها بلامح حزينة بينما

تفانت هي في عملها دون أن تنتبه له وقد نست
تمامًا أن الوقت يمرّ بينما لم يأتِ بعد!!

__ " شكك زي القمر النهارده !! " .

طالعتُه "غيداء" بابتسامه ودوده ثم عادت تنظر إلى
ما فعله دون أن تنبس ببنت شفة في حين أنه
استأنف غزله بها دون أن يفهم خجلها وضيقها مما
يقوله:

__ " يا بخته بيك، بتمنى لك الخير وإنه يكون سند ليك
وإبن حلال يصونك " .

انتهت من مهمتها، لتلتقط الأدوات وتبتعد عنه
بمسافة أطول وهي تقول بنبرة هادئة:

" بتمنى ربنا يرزقك ببنت الحلال اللي تسعدك ".

التقطت "غيداء" هاتفها من جوارها ثم نظرت إليه
في توتر وقلق، استأذنت والدها أن تُجري اتصالاً به
فوافق، سارت صوب غرفة الضيوف وما أن دخلتها
حتى نظرت إلى المائدة المنمقة التي أعدتها من أجله
والتي تحوي كل الأكلات المفضلة على قلبه .. لقد
تأخر كثيراً عن الوقت المتفق عليه .. استبد بها
القلق من أن يكون قد أصابه مكروه، أسرعت

باختيار اسمه من سجل المكالمات وقبل أن تضغط
على زر الاتصال جاءت رسالة منه.

تراجعت عن الاتصال وهي تفتح الرسالة بأنفاس
لاهثة وقلب متلهّف لتقرأ فحوى الرسالة أكثر من
مرة .. أخذت عيناها تجول بين السطور في صدمة
وهلع .. يُخبرها أن كل شيء جمعها أن له أن
ينتهي الآن وأنه غير قادرٍ على تأسيس أسرة معها
لأن قلبه دقّ مرة واحدة ولم تكن هي المقصودة
والمُختارة من قِبَل قلبه.

ارتجفت أناملها وهي تُجاهد للاتصال به كالمشولة
مُحاولةً إِدحاض ما كُتِبَ بين السطور ولكنها لم
تستطع الوصول له بعد أن أغلق هاتفه دون أن يُفكر

في موقفها أمام والدها ذاك الشيخ الكبير الذي لا
يقوى على تحمّل الصدمات، لم يخشى عليها من
نظرات زوجة أبيها الشامتة والقاتلة، وكأنه جاء إلى
حياتها حتى يُثبت لهم بأنها مجرد دميمة لن تحظ
بنصيبها من هذه الحياة أبداً.

صرخة مقهورة صدرت عنها وهي تهوى على
ركبتيها أرضاً، شهقت بألم ضارٍ والدموع تسيل من
مقلتيها تستغيث بمن يُطفىء النيران المُستعرة في
قلبها الواه الذي صار أنقاضاً وليس بعضو
مُعافى ليدير دُف علاقة صادقة، لقد تركت له نوافذ
قلبها مفتوحة وسط هذه الظلمة الحالكة في النفوس
وظنته سيُغلقها قاصداً أبواب حُبهما الصادق ليكتمل
ولكنه ألقى فتيلاً داخلها كي تحترق وتفنى.

هرول والدها إليها ويتبعه الباقية، وما أن دلفوا حتى
صاح والدها بذعر وهو يميل عليها ثم يضمها إليه:

__ " غيداء؟ مالك يا بنتي؟! ".

ضمت ساقها إلى صدرها ثم شدت عليهما وهي
تصرخ بألم وانكسار:

__ " حاسه بالظلم، قلبي بيوجعني أوي .. وجع مش
قادرة أستحمله .. أحضني يا بابا ".

يتبع

#آزاد

(حرية)

"الفصل الثالث " ما قبل الأخير.

_ بأي ذنب؟! _

عندما تختارُك نفساً وسط حشد من الأنام .. تختارك
أنتَ فحسب .. تبتُّك شكواها من العالم .. تُخبرُك
بمدى قسوة الدنيا وما جنته بحق روحها الآمنة
فروعها .. عندما ترى فيك الحياة فتعيشك .. عندما

تحذو بأحلامها نحوك وإلى جوارك فظن بها خيرا ..
لا تعلم كم من الآلام والأوجاع التي قاستها حتى تزيد
على كوابيسها آخر.

مرّت أربع سنوات أخرى وبضع شهور، اختلفت
هيئة البنائيات حتى ألوانها الزاهية قد انطفأت، تزوّج
"رامز" من طالبة لديه بالمرحلة الثانوية بعد علمه
بحبها له وأنها ابنة عائلة ذات حسب وثراء ولم يفكر
للحظة في النظر خلفه وما ترك!!!

أنجب "رامز" طفلة بعمر الأربع سنوات وساعات
حالتها المادية كثيرا وعاش ضيق من العيش في
الفترة الأخيرة ليتقدم بملفه المهني إلى أكثر من
مدرسة ولم يُحالفه الحظ وقتها

آزاد

إلا أنه تمكن أخيرًا من الحصول على وظيفة كمعلم داخل إحدى المدارس الخاصة، دلف من بوابة المدرسة الرئيسية يتلفت حوله في إعجاب شديد من تصميم المدرسة العصري، كان في قمة حماسه وسعادته لكونه سيصبح فردًا داخل هذا الكيان المُتَحضر والراق .. تنهد بتوتر وهو يتوجه إلى غرفة المديرية لإجراء حوار معه بصدد بعض القوانين الهامة للمدرسة. رتب من هيئته حتى يبدو بمظهر حسن ولكن ما يفعله الآن لن يؤيد موقفه بعد قليل؟! الحقيقة دومًا قابلة للانكشاف مهما حاول الفرد منّا إخفاء مساوئه الحقيقية إلا أنه يجد صدام بين حقيقته وماضيه!!

طرق عدة طرقاً خفيفة على باب الحجرة ليأتيه
صوتاً أنثوياً يتابع بهدوء:

_" إفضل " .

قام بفتح الباب بهدوء شديد، وما أن همّ بالدخول
حتى تجمّد في مكانه واقفاً وعلامات الدهشة تملأ
ملامحه فيما أن عينيه تنظران لها بجحوظ .. إفتر
ثغرها عن ابتسامة خفيفة وبنبرة ثابتة قالت وهي
تحتّه على الدخول:

_" إفضل يا مستر رامز؟!!! .. هتفضل واقف
مكانك كثير؟ " .

_" غداء؟! "

حدقت فيه بنظرات ثاقبة، قيل دائماً أن العينين هما
مرآة النفس ولذلك بدأ طرفاهُ يرمشان عدة مرات
بتوتر وتوجسٍ ثم صار نحو مكتبها يجلس على
المقعد المقابل لها.

شبكت كفيها بمرونة وسعة صبر منها وهي تجلس
بوقار خلف مكتبها، تقدم "رامز" من مكتبها ثم
جلس بحركة مُترددة حيث أشارت هي، بدت ملامحها
في أول الأمر صارمة ولكن سرعان ما انبسطت وهي

تتظر في ملفه الموضوع أمامها بامعان ثم تُطالعه
مرددة بثبات:

" ملفك كويس دا زائد خبراتك اللي إكتسبتها من
كُل مدرسة بتروحها .. فأهلاً بيك كعضو جديد في
المدرسة "

ظل يرمقها بنظرات حائرة ومُلتاعة، يتأمل ملامح
وجهها الطفولية الدقيقة والتي لم تختلف كثيراً عن
ذي قبل، حدثته بهيئة امرأة ناجحة وابتسامتها
الصافية تزين ثغره وكأنه لم يخذلها من قبل؟ .. لم
تُغيره إهتماماً كبيراً ولم تتفاجأ من وجوده أمامها
وكانها تيقنت ذات مرة بأن القدر سيجمعهما ثانية،

رفعت "غيداء" عينيها عن الأوراق ثم تابعت
بهدوء:

"_ طبعًا إنت بتسأل نفسك دلوقتي، هي أيه اللي
جابتها هنا؟!، هي بجد المديرة ولا أنا بحلم".

أوما "رامز" برأسه إيجابًا ليفتر ثغره عن ابتسامة
متوترة قائلاً:

"_ بصراحة أه".

غيداء بنظرة تحدّ له:

"_ هو إنت مين اللي فهمك إن البنت لمّا بيخذلها شخص أو بتتكسر بتعيش طول عُمرها تبكي عليه؟ حضرتك أنا في الأربع سنين دول فهمت حاجات كتير ما كُنْتش فاهماها؛ فهمت إن الضعيف حقه ما بيرجعش طول ما ضعفه ظاهر للناس ولو فكر يزعل أو يتوجع، بكلمة واحدة تطيب خاطره هيتراضى ونعيد الكرّة مية مرة، ونوجع فيه لحد ما يستنفد كل طيبته ويجيب آخره".

نهضت عن مكتبها بكل هدوء ورزانة، كان يتبعها بطرفي عينيه مؤنبًا نفسه على ما فعله بها، سارت صوب إحدى الزوايا ثم ضغطت على زرار السخان الكهربائي وبنبرة متسائلة قالت:

_" شايك زيادة مش كدا؟!!! ".

أوما برأسه مؤيداً كلامها، في حين أنها التقطت كوباً زجاجياً ثم وضعت أمامه وهي تقول بنبرة حازمة:

_" معلىش ممكن تعمله إنت علشان دوخت؟! ".

التقط منها الكوب ثم نهض من مكانه بعدما عادت هي لتجلس إلى مكتبها، كانت تراقبه بنظرات مُتفحصة دون أن يلحظها هو بينما غمغم "رامز" ببعض الكلمات الخافتة وهو ينظر إلى الكوب القابع بين كفه لتسأله ببرود:

_" في حاجة؟! ".

رامز مُجيبًا على سؤالها:

_" الكوباية مشروخة، بس مش إشكال شكلها نوع
نضيف وجامدة مش بتتكسر بسهولة ".

لم تتفوه بكلمة واحدة تعليقًا على كلامه، كانت تنظر
إليه فقط، ازدرد ريقه بصعوبة وهو ينظر إلى بريق
غريب يتلألأ من عينيها، عينٌ شهلاءٌ ومُخيفة قد
اختلط فيها اللون الأسود مع بقعة زرقاء ترتجف لها
القلوب هلعًا.

ضغط على عينيه بقوة علّه يفيق من ذلك الوهم
الغريب، بدأ في فتح عينيه بترقب وهدوء وفي نفسه
رجاءً بأن ما يراه أوهام جراء بقائه مُستيقظاً
لساعات طويلة.

_ " رامز، إنت كويس؟! "

شهق بذعر وهو يتقهقر للخلف، هل نهضت من
مكانها ووقفت أمامه في رفة جفن له؟! .. تنشق
الهواء قليلاً لي طرح بهذه المخاوف أرضاً .. افتر
ثغره عن ابتسامة خفيفة ثم قال:

__ " مطبق من إِمبارح، فدوخت " .

هزّت غيداء رأسها في خفة وهي تلتقط الكوب المشروخ بين أطراف أناملها، وبنبرة ثابتة تابعت:

__ " بردو مُصر تستعمله بعد ما عرفت إنه مشروخ؟!، ها .. " .

خرج منها صوت ساخر أو ربما مقهور لتسترسل في الحديث ومازالت تفحص الكوب بهدوء مُقلق:

__ " إنت كدا دايمًا، مش بتسيب حاجة في حالها إلا بعد ما تقضي عليها نهائي، زيّ قلبي بالظبط ... "

صمتت قليلاً تُشير بإصبعها السبابة إلى قلبها، فيما نظر هو مباشرة داخل عينيها عندما رددت:

__ " سيبت جوايا شروخ مع كل مرة كان بيخيب ظني فيك بس كُنت بعدي علشان اللي بتوجهه دا ملكك، كان ممكن وقتها تقولي إنك مش هتكمل، بس إنت ما قدرتش تمشي وقلبي مشروخ منك وبينزف لأ قولت لازم أددشه مية حته، أهى دي بالظبط نفس حالة

الكاس الغلبان دا، رخم إنك شوفت الشرخ فيه
وعارف إنك لو دلقت ميه سخنة هيتدشش ولكنك
كُنت مُصمم تكمل."

رامز وهو يقترب منها أكثر واضعًا كفه حول
ذراعها:

"_ غيداء، أنا وإنتِ كُنا فقرا وماحدثش كان هينقذ
التاني من الديون والجوع."

أطلقت "غيداء" ضحكة عالية تشي بمدى سخريتها
من مبرراته اللاذعة والحمقاء، انتشلت ذراعها منه
بقوة وراح تقول بنبرة نارية:

آزاد

يا ترى فلوس الهانم أنقذتك من الإفلاس
والبطالة؟! ما إنت أهو واقف قدامي بحالتك القديمة
وبتطلب مني شغل؟ مع إني أنا الفقيرة زيّ ما بتقول
."

يا له سُخرية القدر؟! نسعى في هذه الدنيا وراء
الملذات وجمع المال بينما يُحقق الله عدالته مهما كان
وأينما شاء، الإنسان في وادٍ غير الذي خُلق من أجله
والله من فوق سبع سموات يبلوك كي لا تتعدى على
أدواره؛ من تقسيم رزق وتفريج كرب بينما لا
نستفيق إلا بعد أن تضيق قبورنا علينا ولا يسعنا
وقتها إلا أن نقول: يا ليت!!!

أصابه الشُّهاق فجأة وأخذ يسعلُ سُعَالًا حادًا وقد
أحسَّ بالِمِ في جنبه الأيمن ولم يستطع الرد على
إجابتها، نظرت إليه نظرة أخيرة ثاقبة قبل أن تتخطاهُ
عائدةً إلى مكتبها بينما تابع بنبرة هادئة:

" بعد إذنك عايز جدول الحصص علشان أبدأ ".

قامت "غيداء" بوضع قدمٍ فوق الأخرى وبنبرة
صامدة تابعت:

آزاد

الجدول متعلق في لائحة على الحيطه بالدور
التالت، وفي أسانسير جنب أوضتي هنا تقدر
تستخدمه".

أوما "رامز" برأسه مُتفهمًا ليقدر الخروج على
الفور وما أن أغلق الباب حتى زفر بقوة وحنق، أي
حظًا هذا الذي ألقى به في منطقتها من جديد؟ لقد
أدرك الآن بأن القادم أسوأ وأنها أختارته للوظيفة
ليس لكفاءته بل لأجل الانتقام وعودة كبريائها لها
وهي تجده يقف محني الظهر أمامها حفاظًا على
لُقمة عيشه.

تلقت حوله أولاً قبل أن تقع عيناه على المصعد
الكهربائي المجاور لحجرة مكتبها كما أخبرته، شوح

بذراعه مُستسلماً لحظه الأسود .. أسرع بالدلوف
داخل المصعد الذي بدأ بالتحرك ما أن أُغلقت أبوابه.

أخذ يزفر مطولاً وبصورة مستمرة وهو يُعدل ياقة
قميصه أمام جدران المصعد الشفافية .. ظهر أمامه
في الصورة المشوشة على جدران المصعد لونا آخر
غير الذي يرتديه، قطب ما بين عينيه وهو يجول
بعينيه على قميصه الرمادي وبنطاله الجينز ثم يعود
ينظر أمامه ليجد لونا أحمرًا يظهر في الصورة كذلك.

أسرع بفرك جفنيه بحركة سريعة ومن ثم التفت
ينظر خلفه ما إذا كان هناك شيئاً يحملُ ذلك اللون
ولكن لا يوجد، تشوشَ تفكيره وهو يمسح العرق

المتصبب على جبينه، فلمَ لم يُفتح باب المصعد
بعد!!.

_" ما تتفتح إنت كمان؟! .. هو في أ ... ".

صمت فجأة عن الكلام .. صوت أنفاس لاهثة بالقرب
منه وسخونة تحيط الفضاء من حوله وكأن هناك
شخصاً يُجاوره في المكان وقد جاء تَوّاً من رياضة
الركض الصباحية، ازدد ريقه بصعوبة بالغة وهو
يستمع إلى صوت الأنفاس تهدأ تارة وتعلو أخرى
لينتفض قلبه ذعراً. إنتابته حالة هستيرية عصبية
فكّل ما يمرُّ به يضغط على أعصاب رأسه بقوة
وعُنف.

شرع في الضغط على الأرقام الآلية الموجودة على حائط المصعد ويضرب الباب بكفه الآخر إلى أن فُتح أخيرًا، هرول إلى الخارج بينما نظر للحظة عابرة داخل المصعد ولم يجد أحدًا.

_" راما، قومي إعملي واجبك يلا؟! ".

صرخت "هدير" بإبنتها ذات الأربعة أعوام والتي تجلس لوقت طويل أمام التلفاز، لم تجد ردًا منها مما جعلها تزفر بحنق وهي ترمي الصحون في حوض

التنظيف مرة أخرى ثم تنطلق على الفور إلى صالة
البيت لتجد "راما" تُشاهد التلفاز كما توقعت.

" راما؟ أنا مش بنادي عليكِ؟! "

التفتت "هدير" إلى التلفاز لترى ماذا تشاهد ابنتها؟!
لتزوي ما بين عينيها باستغراب وضيق، التقطت
شهيقاً سريعاً قبل أن تلتفت إلى راما وبنبرة حادة
تقول:

" أيه اللي إنتِ بتفرجي عليه دا؟! "

راما بنبرة ثابتة وهي تنظر إلى التلفاز بهدوء ولا
مبالاة لا تليق بأجواء مشاهدة أحد أفلام الرعب
المثيرة:

__ " سيبه، أنا بحبه "

هدير وهي تنهزها بصوت عالٍ:

__ " قومي اكتبني الواجب وإلا هتتعاقبي وأوعي
أشوفك بتسمعي القرف دا تاني؟؟ "

طالعتها "راما" بنظرة ثاقبة ومتفرسة لإيماءات
وجهها ومن ثم نهضت وتوجهت إلى غرفتها دون أن
تتبس ببنت شفةٍ.

حمل حقيبته الصغيرة بين كفه قبل أن يقف في مكانه
الموجود على دكة خشبية في مُنتصف فناء المدرسة
فقد أولته مسؤولية الإشراف من اليوم الأول، كانت
"غيداء" تقف في شرفة مكتبها وهي تنظر إليه
نظرات غريبة لم يفهما كعادته.

قامتها شامخاً للغاية، إلا أن هناك ضوءاً أظفيء في
عينها وخذلانا عالقاً بين جفونها المهدمة وكأنها لا
تشتهي شيئاً سوى الانتقام .. الانتقام فحسب!

تتهد بقوة قبل أن يتوجه صوب الباب الرئيسي
للمدرسة، فقد إنتهى دوامه لهذا اليوم على استعداد
لمُلاقة نظرات القهر والاتهام منها في اليوم التالي.
كان الباب الرئيسي مفتوحاً لأن ميعاد مُغادرة الطلاب
أوشك على الاقتراب ليترجل إلى الخارج بهمة فاترة
وشرود تام.

سار بضع خطوات مُبتعداً عن المبنى إلا أنه فجأة
سمع صوت أحدهم يصيح به في تساؤل:

" إِنْتَ يَا أُسْتَاذٌ؟! إِسْتِنِي عِنْدَكَ ".

توقف "رامز" عن السير ثم التفت له وبنبرة
متسائلة تابع:

" أَنَا؟! ".

الرجلُ بخيرةٌ وذهولُ: " أَيْوَةٌ إِنْتَ، إِنْتَ كُنْتَ بِتَعْمَلِ
أَيَهُ جَوَا؟! "._

استغرب "رامز" من سؤاله، اقترب أكثر من الرجل
ثم تابع بنبرة ساخرة:

"_ دي مدرسة وأنا بشتغل فيها .. هكون بعمل أيه
يعني؟!!"

ازدرد الرجلُ ريقه بفرع وبنبرة مُتلعثمة ردد:

"_ تشتغل أيه في مدرسة مهجورة من سنين؟ إنت
مجنون؟؟؟!"

يتبع

#آزاد

(حرية)

" الفصل الرابع والأخير "

_ آزاد _

" تلك الحرية المطلقة والعالقة بين الذنب والتوبة "

للشر وجهان؛ الذنب وصاحبه .. وللخير وجهان؛
توبة صاحب الذنب والثبات على المبدأ دون تزعزعٍ.

فهل ستكون لرحلة الحياة لذة إن لم نُقابل ابتلاءات
توقظنا؟! .. البلاء سكة سفر تُعززها بالشكوى إلى
الله وليس بارتكاب جرائم في حق غيرك.

__ " لا بص مش ناقصك، شكك راجل مجنون
وهتضيع ليّ وقتي ".

أردف "رامز" بتلك الكلمات في نفاذ صبر وهو
ينصرف بوجه مُتجهم وقد تأججت نيران الغضب
داخله، إنطلق مُبتعدًا عن ذلك الرجل المجنون وكُل ما
يدور في رأسه هو فراشه المُريح لكي يغيب عن هذه
الأجواء اللعينة لبعض الوقت.

مرّ الكثير من الوقتِ إلى أن وصل إلى بيته الذي يبعدُ
عن مكان عمله قرابة الساعة، أولج مفتاحه الخاص
في الباب ثم دلف ليجد زوجته تجلس بغضب على
الأريكة:

__ " فين راما؟! "

طالعتهُ "هدير" بنظرة ناقمة قبل أن تصيح بعصبية
مُفرطة:

__ " في أوضتها، وبعدين مش تسألني مالك؟ مش
شايفني متضايقة؟؟! "

ضغط "رامز" على عينيه بقوة، ما عاد يتحمل
ضغوطات أكثر اليوم، افتعل ابتسامة باردة وبنبرة
هادئة قال:

" زعلانة ليه يا هدير؟! "

هدير وهي تهتف بنبرة حانقة:

_" عايزة أخرج لأنني أتخنقت من المطبخ للصالة
لأوضة راما، أنا قرفت "_

أوما "رامز" برأسه إيجابًا وهو يقول بإيجاز:

"_ هقبض أول مُرتب وهخرجكم في المكان اللي انتم عايزينه"

وفي هذه اللحظة اتجه بخطوات وئيدة ناحية غرفة ابنته ثم فتح الباب وهو يردد بنبرة مرحة:

"_ راما حبيبتي؟ عارفة بابا جاب لك أيه؟! "

آزاد

جاء ببصره الغرفة بتوتر، لم تكن بها كما قالت
زوجته!!، أسرع بالدخول وهو يردد بصوت عالٍ:

"_ هدير؟ راما مش في الأوضة؟! ".

زوت " هدير ما بين عينيها وقبل أن تنطق وجدت
ابنتها تخرج عليهم من المرحاض، حدقت والدتها
فيها بدهشة ليأتي والدها قائلاً بأريحية:

"_ راما حبيبتي، كُنتِ فين؟! ".

راما بنبرة جافة: "في التواليت ".

هدير وهي تهتف بذهول وصدمة:

"_ وإنتِ دخلتي التواليت أمتي؟ وليه ما شوفتكيش
."

رامز وهو يقترب من ابنته ثم يضم كفها بحنان قبل
أن يهتف في زوجته بنبرة صارمة:

"_ وإنتِ هتاخدي بالك منها ولا من المسلسلات؟!
."

صمتت "هدير" عن الرد وكادت أن تُجن عندما رأتها تخرج عليهما من المرحاض رغم أنها مُتأكدة من أن ابنتها لم تخرج من غرفتها لدقيقة واحدة حتى!! .. اصطحبها والدها إلى الغرفة ثم وضع علبة الألوان أمامها وتركها تمارس هوايتها التي تقوم بها كل يوم.

قام بإغلاق الباب خلفه ثم تابع بنبرة ثابتة وهو يتوجه صوب غرفة النوم:

_" لَمَّا الغدا يخلص صحنيني " .

وما أن دلف إلى غرفة النوم حتى صفق الباب خلفه،
مشى حثيث الخُطى حيث الفراش بعد أن أغلق
الأضواء، تنهد بإرهاق يكتنف جسده كُلّه، لقد كان
بحاجة ماسة إلى أن ينام لمدة ساعتين على الأقل.

دثر نفسه في الفراش ثم نام على جنبه الأيسر وقد
ارتخت جفونه باستسلام مُميت، لحظات وعاد الألهات
يظهر بين جنبات الغرفة رويداً رويداً، صوتٌ لشخص
ما وكأنه يشهق شهقة الموت الأخيرة ساعة
احتضاره، نبضات قلبه تخفق بقوة وقد أوشكت على
أن تهرب من أسر ضلعيه ولاحقاً شعر بطيف يتسطح
على الفراش بجانبه وما دبّ الدُعرُ إلى نفسه حقاً أن
يداً وُضعت على جسده ليبتلع ريقه بصعوبة وهو
يقول بنبرة مُتحرّجة:

آزاد

_" هدير؟! ".

تبيس جسده كله وهو لا يجد رداً منها وكان الرد
الوحيد عليه أن يرتفع صوت اللهاث بصورة أكبر،
أغض عينيه بقلب مُلتاع وراح يقرأ "المعوذتين"
قبل أن يفتح عينيه ثانية ببُطء ووجه مُشوه يلتصق
بالقرب من وجهه وقد كان لعينه سُهلة من وميض
أزرق وتفوح منه رائحة شواء ليصرخ بأعلى صوت
له وأطرافه ترتعش في حالة جنونية قبل أن ترمش
جفونه لثوانٍ ثم يختفي!!

_" رامز مالك؟! ".

فتحت "هدير" الباب على الفور وهي تهزول إليه،
كان جالساً في الفراش يلتقط أنفاسه بالكاد .. ربتت
على ظهره تُهدأ من روعه وبنبرة هادئة قالت:

" شوفت كابوس؟! "

رامز وهو ينظر إليها متوجساً:

" هو أنا لسه نمت؟! "

زمت "هدير" شفيتها باستنكار، مالت بجسدها ناحية المنضدة الصغيرة المجاورة للفراش ثم التقطت الهاتف وهي تضعه أمام مرأى عينيه وتقول:

__ "الساعة ٥ المغرب وإنت نايم من الساعة 1؟!"
وتقولي ما نمتش !!!".

طالعتها "رامز" بعينين جاحظتين مُحاولاً إقناع نفسه بما قالتة، لقد دخل إلى الغرفة للتو؟! وضع جسده على الفراش ومن ثم بدأ يسمع ذلك الصوت المُخيف، لم يُغلق عينيه لثوانٍ حتى فكيف نام لأربع ساعات متواصلة!!.

آزاد

تتدى جبينه عرقاً وراح يمحوه بظاهر كفه، طلبت منه زوجته أن يلحق بها إلى الخارج لتناول الغداء معاً وابنتهما، ظل يتجول بمقلتيه بين تفاصيل الغرفة بتوجسٍ ورهبةٍ إلى أن لفت انتباهه شُهب تسطع لامعة في السماء من نافذة الغرفة المفتوحة.

جهزت "هدير" المائدة التي تضم ثلاثة مقاعد بعدهم، خرج رامز من المرحاض وراح يُجفف خصلاته بمنشفته الخاص ثم جلس إلى السفرة على الفور بنفس مُشتاقة لتناول لُقمة تُشبعه ليقول بنبرة هادئة:

"_ فين راماز؟!!"

هدير وهي تضع الطبق الرئيس وسط المائدة ثم
تجلس هي الأخرى:

" بتلم اللعب بتاعتها وجاية ".

هزّ رأسه في خفة ثم بدأ في التهام طبقه بصمت
وهدوء، خرجت راما من غرفتها متوجهة إلى
مقعداها مباشرة وما أن جلست عليه والتقطت ملعقتها
حتى نظر "رامز" إلى عنقها بصدمة، وكانت هذه
أكبر صدمة له خلال أحداث هذا اليوم العصيب
والمُجهِد .. ابتلع غصّة في حلقه وهو يقول بنبرة
مرتجفة:

آزاد

_" راما؟ جبتي السلسلة اللي في رقبتك دي منين؟! "
."

إفتر ثغرها عن ابتسامة رقيقة وهي تضع كفها
ليلامس القلادة وبنبرة ثابتة قالت:

_" أخذتها من صاحبتني في الكلاس، قالت لي كمان
إنها بتحبني وبتحب الأطفال أوي ومش زعلانة مني،
بس أنا زعلانة .. ".

صمتت لوهلة بينما حدق والدها فيها بقلق لتستأنف
بنبرة حزينة:

__ " زعلانة علشان هتسيني وتمشي قريب ".

ألم ضار يعتصر قلبه وكيانه، لا يفهم مما يجري حوله شيئاً، هل أصابه مسّ من الجنون أم أن هناك ما لا يفهمه، وكيف وصلت هذه القلادة إلى عنق ابنته؟! لقد أعطاه لتلك منذ أربعة سنوات؟! ..
ضغط على مقدمة رأسه بقوة بعدما أحس بدوار يلتهم عظام رأسه ليصرخ بنبرة عالية تعلو فوق قوة احتماله:

__ " إقلعي السلسلة دي وبكرا هاجي لك الكلاس وتوريني البنت دي؟! ".

مطت "راما" شفيتها بحُزن وقد تَلَأَّت الدموع في
عينها لتنزل عن مقعدها ثم تهرول إلى غرفتها
وتصفق خلفها الباب بقوة غريبة .. !!

" في صبيحة اليوم الموالي " ..

نزل "رامز" من سيارة الأجرة ثم نقد السائق حقه
ومن ثم أنطلق في طريقه إلى عمله الذي يفصله عن
شارع واحد، سار شاردًا في كُل شيء يعانیه .. فيها
.. وفي القلادة .. وابنته .. في كُل شيء ظلمه بقربه
المريض .. وصل إلى الباب ولم يلحظ ذلك إلا عندما

آزاد

قطع شروده صوت ذلك الرجل مُجددًا وهو يقول
بنبرة مُمزجة:

__ " إنت أيه اللي رجعت تاني؟! ".

نحا "رامز" ببصره إلى الرجل ثم أغمض عينيه
كاظمًا غيظه داخله وراح يتجه ناحية الباب وهو
يردف بنبرة ساخطة:

__ " أنا مش ناقص هلاوس على الصب .. ".

كانت الصدمة رادعةً له، حينما تصلب في مكانه وهو
ينظر إلى ذلك البناء المهجور والمُهدم أمامه!! ..
جحظت عيناه بصدمة وراح يصيح بنبرة جنونية:

_" ايه المكان دا؟ وفين المدرسة؟! " _

ضرب الرجلُ كفاً بالآخر وراح يهزُّ رأسه بحزن لحال
الآخر:

_" لا حول ولا قوة إلا بالله، يا بني إنت ليه مُصر
إنها مدرسة، هي كانت مدرسة من سنتين فاتوا قبل
الزلازل ما يبجي ويدمرها ومن وقتها وهي مهجورة
.."

أخذ يهز رأسه بجنون وذعر وبنبرة صاخبة ردد:

"_ وغيداء؟ كانت موجودة إمبرح، أنا شوفتها!!!"

ظل يصرخ وقد أصابه الهلع وتشنجت فرائصه ليركض مُبتعداً عن المكان .. ركض وركض .. لا يفهم أين هو الآن؟ في دنيته التي خُلق وعاش بها سنوات حياته السابقة أم أنه داخل أحد أفلام الرُعب القاسية والتي شلّت تفكيره تمامًا. جرى لكثير من الوقت دون أن يدرى ليجد نفسه يقفز داخل حافلة وهو يلوذ بالفرار ولكن أين المفر؟!..

أخذتهُ قدماًهُ إلى ذلك الحي القديم الذي لم يطأهُ في
حياته ولو مرة، مازال عنوان بيتها منحوتاً في
ذاكرته عندما كانت تبش في وجهه لشدة سعادتها
بخبر قدومه إلى بيتها .. مازال يتذكر كيف خُذلت
هاتان العينان بعد فرحة وبأي ذنب؟ لا شيء سوى
أنها أحببت من لا يجوز الحب فيه.

صعد الدرج الحجري القديم حتى وصل إلى الطابق
الثاني، تنهد تنهيداً ممدوداً بعمقٍ قبل أن يهرول إلى
الباب ثم يطرقه بقوة لتخرج سيدة من الباب المُقابل
ثم تقول بنبرة متسائلة:

آزاد

_" عايز مين يا أستاذ؟! ".

رامز بنبرة مُرتجفة: " غ غ غيداء !! ".

تنهدت السيدة بهدوء قبل أن تقول بنبرة هادئة:

_" غيداء بنت الشيخ محمد ماتت يا بني من سنتين لما
جالها المرض الخبيث والشيخ محمد الله يرحمه ما
أستحملش فراقها ومات بعدها بشهر وست سامية
باعت الشقة ومشيت ".

آزاد

كتم صرخةً كادت أن تخرج من صدره وهو ينظر
إليها بعينين مريضتين، ارتخت عضلات جسده ليميل
بجذعه العلوي حتى لامس ركبتيه بكفيه والدموع
تسيل من عينيه بلا توقف.

_" بابا؟ .. " .

اتسعت حدقتا عينيه وهو يُنصت إلى صوت ابنته؟
كيف؟ لأبد وأنه يتخيل صوتها يُطبّط على قلبه
المُرتجف، كررت الطفلة نداءها ليستقيم في وقفته
وهو يرى ابنته تقف أمامه مباشرة وهي تقول بنبرة
هادئة:

_" تعالیٰ علشان اُوریک صاحبتي؟! ".

هرعت إلیه ثم وضعت کفها بین راحته ومضت
تسحبه بکُل ما أوتیت من قوة كي یسیر معها بینما
تابع رامز بذهول یسألها:

_" راما؟ إنتِ جيتي هنا إزاي؟!!! ".

راما بهدوء: " مشیت وراک یا بابا ".

حاول ملياً أن يُقنع نفسه بما قالتها صغيرته، رغم أنه
في الحقيقة لا يُصدق فكيف تتبعه وهو في الأصل قد
استقل إحدى الحافلات!! .. سار معها وهو في حالة
يرثى لها بينما قادتة هي حيث تكون البناية
المُهتمة!!!

لأول مرة يشعر وكأن قوة أخرى هي التي تقوده،
أفلتت الطفلة كفها من بين راحته ثم هرولت إلى
داخل البناية بينما صاح رامز صياحاً شديداً عندما
شعر أنه ربما يفقد ابنته، لم يكن يسعه سوى الركض
خلفها داخل هذا المكان المُخيف .. وما أن دلف من
الباب حتى وجد كُل شيء قد اختلف عن المرة
السابقة حيث يقبع باب أمامه مباشرة .. لم يُفكر
لثانية .. ركض فحسب وهو يصرخ باسم ابنته:

آزاد

_" رامااااا!؟! .. إنتِ فين؟!!" .

وفي هذه اللحظة وصل إلى ممر يفض على غرفة كبيرة مفتوح بابها قليلاً، كان الممر شديد الظلمة وفجأة عاد ثانية؟! صوت لهاث يعلو كلما تقدم خطوة أو كلما تراجع ولكن هذه المرة اختلط به صوت صرخات ضارية .. رأى طيفاً شديد السرعة كالبرق يمرُّ من أمامه ليرفع كفيه ويضعهما على أذنه وهو ينادي ابنته ببكاء مرير:

_" راما .. إنتِ فييين؟!!" .

انتفض جسده برعشة قوية ليتقهقر إلى الخلف حتى
اصطدم بالحائط وهو ينظر إلى شخصٍ يشبهه!! ..
انفتحت عيناه على وسعهما وهو يرى جسداً مُخيفاً
قد تآكل جلده كُلّه وبات مشوهاً وقد كانت عيناه
مفقوتين ثم مضى يطبق على رقبة ذاك الشبيه ثم
يغرس رأسه في ماءٍ مغلي وبنبرة هادرة اهتزت لها
جدران المكان:

_" آزاد، الحرية المطلقة والعاقبة بين الذنب
والتوبة، فما ذنبك؟! ".

هو: " فارقتها ".

لم يكتفِ ذاك المُخيف بالإجابة وخرس وجهه في
الماء ثانية وهو يقول مكرراً جملته:

"_ آزاد، الحرية المطلقة والعاقلة بين الذنب
والتوبة، فما ذنبك؟!".

هو بصراخ مرير: " خذتها ".

يبدو أنه لن يقتنع بسهولة، كان رامز ينظر إلى ذلك
المشهد بهلع وصل إلى أشده عندما هدر المُخيف
بنبرة جهورية:

آزاد

_" آزاد، الحرية المطلقة والعاقبة بين الذنب
والتوبة، فما ذنبك؟!!".

هو: "جعلتها تسير خلفي مُغلقة العينين حتى وصلت
بها إلى تلة عالية وهناك في نهايتها لم يكن عشا
دافئًا كما وعدتها، كانت حافة الهاوية".

وضع "رامز" كفيه على وجهه وأخذ يصرخ بإنهيار
أليم، أخذ يحك جسده بالحائط حتى ابتعد عن ذلك
المشهد ثم هرول ناحية الباب هناك وهو يصرخ
ملتاعًا:

_" راماااااااا؟! إنتِ فين؟!!".

— " أنا هنا " .

أسرع بفتح الباب على مصراعيه والدموع تنساب
منه بغزارة وهو ينظر إلى مائدة كبيرة وقديمة وقد
ملأها الغبار ونسج العنكبوت عليها بيوتًا له وكذلك
رُصت عليها أطباق يبدو أنه كان بداخلها طعامًا
ولكنه تحلّل .. كانت هناك بعض الرياح والتي
ذدعت الأتربة العالقة على الأواني العتيقة فطافت
في الفضاء بالمكان .. شهق مذعورًا وهو يرى ابنته
تجلس على أحد المقاعد وتلتهم من الطبق أمامها؟
ولكن ما هذا الشيء؟ إنه قلبًا بشريًا يضح الدم
وينبض بالكاد بينما تلتهمه ابنته بشراهة وهدوء
وهي تنظر إليه نظرات غامضة.

وفي هذه اللحظة سمع شهيقًا يأتي من بعيدٍ يختلط
بطنين البعوض من حوله، تحول ببصره إلى الزاوية
الأخرى من الغرفة ثم يصرخ بنبرة هادرة:

__ " غيد دد اء؟!! " .

كانت تقف بعيدًا عنه، كانت ذات ملامح أجمل من ذي
قبل ولكن خصلاتها مفقودة؟! وقلبها أُقْتَلع من مكانه
والدماء تسيل منها .. نظر إلى الفجوة مكان قلبها ثم
عاد ينظر إلى ابنته والوجبة التي تلتهمها ليصرخ
باكياً وهو يجثو على ركبتيه أرضاً:

آزاد

_" سامحيني يا غداء .. سامحييني ." _

كانت عيناها تشع رغبة في الانتقام منه وتشتهي
النيل من فريستها إلا أنا نزلت على رُكبتها أرضاً
وراحت تبكي بصرخات مقهورة ومكلومة .. ظلت
تحنني بجذعه العلوي حتى لامست رأسها الأرض ثم
اختفت واختفى صوت بكائها ليستجديها الآخر أن
تنسى له ما بدر منه بحقها:

_" سامحيني؟!!!! " _

عمّ السكون المكان وهدأت الأصوات وربما إختفت
وفجأة يظهر سرب حمام أبيض اللون يطوف من
حوله ثم تسقط ابنته مُغشيةً عليها.

نثر "تيم" الأزهار على قبرها، تحسس الثرى القابع
على القبر بأطراف أنامله ولا يسعه سوى البكاء على
فراقها كلما تذكر أيامه معها وخطبتهما التي دامت
خمسة أشهر فقط!! .. عشقها بصدق وتألم على قدر
وفائه لها .. لا يفتأ أن يتذكر حالها بعد أن أُصيبت
بمرض السرطان وكيف تدهورت حالتها وأصبحت
هزيلة ومهزومة.

آزاد

_" عارفة؟ أنا بحبك على قد ما مستحيل نكون مع
بعض أو حتى أشوفك تاني، فاهمني؟ طيب
سمعاني؟!!"

مسح وجهه كله بكفه ثم استرسل يقول بغصّة ملأت
قلبه:

_" بيقولوا الميتين بسمعوا ويحسوا بالناس اللي
بتزورهم وكمان بيفرحوا أوي .. بتمنى تكوني فرحة
إني هنا معاك وأعرفي كويس إن تيم مش هينساك
."

التقط حقيبة ظهره القابعة بالأرض بجوار قدمه ثم
أخرج منها قميصه الذي هيكته له ذات مرة ثم ألبسه
للحجارة المنتصبة على عُرة المقبرة قبل أن ينتصب
واقفاً في مكانه وهو يقول:

_" أستودعك الله الذي لا تضيع عنده الودائع ".

ماذا لو كان بينك وبين باب الجنة ذنباً بحق
إحداهن؟! صدقتك وأمنت بك؟ بينما أنت في الحقيقة
مُسيئمة الكذاب، قد تتوالى المصائب والهزائم تبعاً
في حياتك من دعوة خرجت من قلب مكلومٍ .. فلا
تستهن بشرخ أحدثته في قلب فتاة .. وإن أَرعبتك

آزاد

مجرد قصة من وحي خيالي .. فما بالك بعقاب رب
السماء؟!

(تمت بحمد الله)

#آزاد (حرية)

#فنتازيا_رعب_درامي

#علياء_شعبان